# إن صنّاه صاننا، وإن خناه خاننا


## بقلم المهندس حميد عواد

## نائب رئيس الاتحاد اللبناني الكندي لحقوق الإنسان


عيد الاستقلال هو وقفة اعتزاز تذكرنا بعظمة أجدادنا وفرادة تراثنا وروعة وطننا. وهو انخطافة تأمل وجردة حساب نستعرض خلالها تاريخاً طويلاً حافلاً ببطولات واكبت نشوء وطننا. لقد بذل أجدادنا تضحيات جساماً وجهوداً جبارة حتى نهضوا بجنة صغيرة احتضنت حضارات عريقة واعتصرت ثقافات متنوعة أسموها لبنان. لقد جعلوا لبناننا حصناً منيعاً على الغزاة ورقعة فسيحة للعمران ومنبراً حراً للفكر ومنارة وضاءة للعلم وموئلاً آمناً للأحرار ومنتدى مفتوحاً للحوار.

إنسان لبنان خلاق منذ عهد الفينيقيين الذين اخترعوا السفن لاكتشاف آفاق المتوسط وحملوا معهم الأبجدية والأرجوان والنبيذ. كالمارد المنطلق من القمقم تجلى اللبنانيون على متسع العالم وبرعوا في الأدب والعلم والسياسة والفن. كل مأثرة من هذه المآثر تتفجر فيضاً من الزخم في وجدان أجيالنا الطالعة فتحفزهم على بزّ أسلافهم في العطاء الخير.

جودة الإنسان اقترنت بجودة الطبيعة في لبنان فهي سخية العطاء، طيبة الثمار، خلابة الجمال تنتصب قممها مكللة بالثلوج مزدانة بالأرز الشامخ طيلة آلاف السنين فاستلهمناه الصمود وجعلناه عنوان وطننا. وهي متحف غني بآثار حضارات شعوب تفاعلنا معها.

لقد أقمنا واحة ديموقراطية عريقة في صحراء قاحلة سياسياً يستبد بشعوبها غالباً طغاة ظالمون. لذلك أُضفي على لبنان عن استحقاق لقب لؤلؤة الشرق. لقد فطر اللبنانيون على عشق الحرية وما طاقوا الظلم فتصدوا لجور الإمبراطورية العثمانية وقدموا الشهداء قرابين على مذبح الوطن فتخلصوا من نيرها. كما توافقوا على الخروج من وصاية الانتداب الفرنسي وعدم ارتماء البعض في أحضان سوريا وكان إعلان الاستقلال في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣.

وما لبث هذا البعض أن تعاطف مع خطاب عبد الناصر الوحـــدوي ومـــال إلـــى الانضمام إلى الوحدة المصرية السورية لكن ذلك لـــم يحـــظ بإجمـــاع اللبنـــانيين ورجحت المصلحة الوطنية على المغامرة الوحدوية وفشلت حتى الوحدة المصريـــة السورية.

ومنذ أواخر الستينات أُقحمنا الوجود الفلسطيني الذي شكل فصائله الكاملة التســـلح في لجة الصراع العربي الإسرائيلي حول القضية الفلسطينية وحيكت المؤامـــرات والفتن لتقوض مؤسساتنا وفتحت الدرب لانقلاب فلسطيني على سيادتنا واجتيـــاح إسرائيلي واكتساح سوري لأراضينا. وكانت صدامات قاسية غير متكافئة، ورغـم أننا منينا بخسائر فادحة صمدنا فحصرت القضية الفلسطينية في نصابها الصحيـــح وانسحب الجيش الإسرائيلي خارج حدودنا ما خلا مزارع شبعا "التي نسيناها" فـــي "عهدة" سوريا حتى انتزعتها منها إسرائيل.

أما اكتساح الجيش السوري لأراضينا من "غـــير اســـتئذان" فلاقـــى منـــذ ١٩٧٦ معارضة من سياسيين اغتيل أكثرهم لاحقاً وجوبه تمدده بمقاومة عسكرية في عـــدة مراحل ولم تستجب طلبات رؤساء سابقين للجمهورية والحكومة بسحبه بل قيـــض له اقتحام آخر معقل للشرعية في ١٣ تشرين الأول سنة ١٩٩٠ "كإكرامية" لتغطيـــة قيادته "عاصفة الصحراء" بفيلق سوري، وهكذا حجر السوريون اللبنانيين في فراغ سلطوي ملؤوه بنفوذهم المخابراتي فاستشاط معظم اللبنانيين غضباً واتسعت حلقـــة رفضهم لتشمل اليوم شرائح كانت تدور في الفلك السوري.

رغم أهمية وأصالة هذه الروافد الوطنية في تأسيس الوطن يستشرس الســـوريون في تهميشها ويتلطون بصنيعتهم السلطة المحلية. فهذا ليـــس فقـــط تحديـــاً لإرادة اللبنانيين في عقر دارهم وانتهاكاً لحقوقهم وإنما هو تعدٍ علـــى مقـــررات مؤتمـــر الطائف وقرار مجلس الأمن الدولي رقم ٥٢٠ كما هو خرق لميثاق جامعة الـــدول العربية.

واقع الحال في لبنان أن القيادة السورية تتحكم برقاب اللبنانيين في موطنهم غارسة مخالبها وأنيابها في كل مؤسسات الدولة وتتصرف وكأن لبنان لقمة سائغة تلوكـــها بين فكيها وأن اللبنانيين عبيد غنمتهم فحللت سبيهم وجعلت غايـــة بقائـــهم خدمـــة

أهدافها وأهوائها. لذلك سلكت نهج الترغيب والترهيب ونظمت "عروضاً" دورية لتناحر ديوكها وشنت الحملات الشعواء على أهل البيت الأحرار لتثنيهم عن رفض هذه الهيمنة الوقحة كما سخرت كل إمكانات الدولة للاقتصاص منهم.

حملات التنكيل بالشباب الحر المثقف لم تتوقف: استدعاءات على مراكز المخابرات للاستنطاق الدوري لا يسوّغها القانون، اعتقالات جائرة بلا جرم ولا ذنب، منع لقاءات مهنية بالتهديد والوعيد أو بالقوة وقمع لحرية الرأي والإعلام.

لا حرمة لمكان أو مقام في وجه المداهمات والردود "المعممة". ولم يستثن البرلمان من هذه الانتهاكات، فخلال "تكريس" "المحكومة" الجديدة تعرض الدكتور البير مخيبر والأستاذ وليد جنبلاط لردود وتهديدات صارخة تضع قائليها تحت طائلة القانون – إن طبّق – لأنهما تجرأا على طرح قضية الوجود السوري والدعوة إلى مؤتمر وطني شامل يخرق الحظر ويعزز الوفاق.

إن الذعر الذي يدفع من حُملوا إلى سدة "المسؤولية" على "بساط الريح" السوري إلى تغطية الهيمنة "بشرعية" مطعون فيها، هو كبوة تهدر كرامات المواطنين وتتنكر للدستور وتجيّر صلاحيات ألقابهم إلى من أتى بهم.

فالديموقراطية والسيادة والحرية والاستقلال غدت جثثاً محنطة في أقبية راعيهم الذي قلص الوطن إلى زنزانة سورية. لكن اللبنانيين حريصون على حقهم البديهي في الإمساك بمقاليد شؤونهم واختيار ممثليهم ولعب دورهم الطليعي واستعادة الثقة بوطنهم التي كلف فقدانها نزفاً بشرياً حاداً وركوداً اقتصادياً خانقاً.

لا شك أن صوت الضمير يستنهض كل لبناني على بذل العناية الفائقة للمساهمة في انتشال الوطن من "غيبوبته" واستعادة رشده. فلنستجب لصوت الضمير، صدى صوت الأجداد والآباء والأحفاد ولنسع مع الأمم المتحدة على تنفيذ القرارات الدولية بدءاً بالقرار ٥٢٠ فيرفع السوريون جيشهم وأيديهم عنا ونمد عندئذ أيدينا لهم للتعاون المخلص.

الاستقلال هو حجر العقد في بناء الدولة ومحور الهوية الوطنية وجوهر كرامة المواطن، فإن صناه صاننا وإن خناه خاننا، فهل يعقل أن نخون ذاتنا؟